**تفسير الآيات من [59 – 65] التحاكم إلى شريعة الله**

بحث فى علم التفسير

إعداد / *د. وليد علي الطنطاوي*

قسم الدعوة وأصول الدين

كلية العلوم الإسلامية – جامعة المدينة العالمية

شاه علم - ماليزيا

***waleed.eltantawy@mediu.edu.my***

**الخلاصة – هذا البحث يبحث فى التحاكم إلى شريعة الله**

**الكلمات المفتاحية – اسلوب، قصر، التحاكم**

* **.المقدمة**

 **الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين ، سوف نقوم في هذا البحث بمعرفة التحاكم إلى شريعة الله**

* **.عنوان المقال**

**يقول الله تعالى: {ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ} [النساء: 64، 65].**

**وهذه الآيات -كما نرى- وثيقة الصلة بالآيات السابقة، وأنت تراها معطوفة بواو العطف.**

**يقول ربنا: {ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ} هذه عبارة -كما ترون- فيها أسلوب حصر وقصر؛ فالله  يقصر إرسال أي رسول على أمر واحد هو طاعة هذا الرسول فيما بلغ عن ربه. والله  حين يسوق هذه الحقيقة على هذا النحو، إنما يسوقها ليعظم لنا أمر طاعة الرسول الذي أرسله.**

**فالله  يقرر في هذه المقدمة بأنه لم يرسل أي رسول على امتداد عمر هذه الدنيا، من لدن آدم إلى أن ختمت الرسالات بمحمد  إلا ليطاع هذا الرسول فيما بلغ عن الله، وهذه الطاعة إنما تكون بإذن الله .**

**والرسول  عليه أن يبلغ، ولكن لا يمتلك أن يهدي الناس، كما قال تعالى: {ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ} [القصص: 56]. وفي هذا تطمين لنبي الله  وأنه إنما هو مرسل ككل الرسل من قبل الله  ويجب أن يطيعه الناس فيما بلغ عن ربه، ولكن هذا متوقف على توفيق الله .**

**ولعل هذا الإذن والتعبير يجعلنا ندرك معنى قول الله تعالى: { ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ} وكأن الله  يقول: نعم لا يؤمن أحد إلا بإذني، كما قال تعالى: {ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ} [يونس: 100] فإذن التوفيق من الله .**

**فقول الله تعالى: { ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ} الآية. إنما هي دعوة في الحقيقة إلى سلوك الطريق الذي يحصل منه الناس على إذن الله ، فإذنه -جل وعلا- وتوفيقه إنما يأتي أيضًا بأن تتجه القلوب والنفوس إلى الطاعة وإلى التوبة؛ ولذلك جاء في القرآن: {ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ} [محمد: 17].**

**فقوله تعالى: {ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ} كما نرى بداية جميلة عظيمة، ودعوة إلى هؤلاء لإزالة الظلم عن أنفسهم؛ لأن الله  ليس في حاجة إلى طاعة الطائعين، إنما هو الخالق الرحيم أرحم بهم من أنفسهم، يدعوهم إلى العودة إلى دينه، وإلى كتابه، وإلى رسوله  ليأخذ بأيديهم إلى طريق السداد والرشاد.**

**وقوله تعالى: {ﮰ ﮱ ﯓ} لما كان الخطأ في حق رسول الله  حين انصرفوا عنه فتحاكموا إلى غيره، وحين جلسوا بين يديه يحلفون بالله كذبًا وبهتانًا أنهم ما أرادوا بتحاكمهم لغيره إلا جمع القلوب، والتوفيق بين الناس، فكان لا بد أن يكون هذا الاستغفار من الله  بين يدي رسول الله . وفي هذا كما ترون إعلاء لقدر رسول الله  وبيان لفضله.**

**ولعل هذا أيضًا ما يمكن أن يفهم من قول الله تعالى: {ﯔ ﯕ ﯖ} فاستغفار الرسول لهم أيضًا فيه تكريم وإعلاء لقدر رسول الله . وكما ذكرنا أن العبد حين يستغفر الله بقلب مخلص طائع مقبل، يعلم الله  أن عبده مجد مجتهد مخلص فيما طلب، فإن الله يقبل توبته: {ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ} [النساء: 17].**

**أما طلب أن يستغفر لهم الرسول فهذا فيه تكريم لرسول الله  وليس الأمر في استغفار الرسول  والمجيء إليه أن يذهب الناس إلى قبر النبي  وأن يجلسوا عنده، أو أن يقفوا أمامه ليستغفروا الله ، وأن يطلبوا من الرسول  في قبره أن يستغفر لهم. فهذا ما لم يقل به أحد من العلماء، ومن أصحاب رسول الله .**

**وقوله تعالى: {ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ} فهذا يدل على كرم الله  وأن الله -جل وعلا- كأنه يفرح بتوبة عبده كما جاء في الحديث، وأنه  موجود في انتظار هؤلاء التائبين الذين قدموا لرسول الله  يطلبون منه أن يطلب لهم المغفرة من الله ، والله يطمئنهم بأنه تواب رحيم.**

**ثم انتقلت الآيات لبيان حقيقة مهمة فقالت: {ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ} هذه الآية -كما نرى- مرتبطة بالآية السابقة كل الارتباط، ذلكم أن الله  حين طلب من هؤلاء أن يستغفروا وأن يتوبوا إلى الله  أراد أن يخوف وأن يزجر من جاء يعلن توبته ويعود إلى إيمانه، فأراد الله  أن يضع مقياسًا لإيمان المؤمن، وهذا المقياس بهذه الشروط: {ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ}.**

**هو قصة الزبير بن العوام > وفيها: أن الزبير خاصم رجلًا من أهل المدينة في شراج الحرة -يعني في مسيل الماء في حرة المدينة- وكان الماء يصل إلى الزبير أولًا ثم إلى جاره. فقال النبي  للزبير: «اسق يا زبير، ثم أرسل الماء إلى جارك» وكأن هذا الرجل كان يريد من الرسول  أن يحكم له بأن يبدأ هو بالسقي، ثم يسقي الزبير بعد ذلك. فلما قال الرسول  ذلك قال الأنصاري: "يا رسول الله، أنْ كان ابن عمتك".**

**يعني: لأن الزبير ابن عمة رسول الله  السيدة صفية، فلهذه القرابة حكم له، ومعنى ذلك أنه يرمي رسول الله  بعدم العدل، وأنه يميل مع الهوى ومع قرابته «فتلون وجه رسول الله  ثم قال: اسقِ يا زبير، ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر، ثم أرسل الماء إلى جارك».**

**فاستوعى النبي  للزبير حقه في صريح الحكم حين أحفظه الأنصاري، وكان أشار عليهما  بأمر لهما فيه سعادة. قال الزبير: "فما أحسب هذه الآية إلا نزلت في ذلك: {ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ} الآية". وقد ساق ابن كثير وغيره من الأئمة هذا الحديث بعدة طرق، وكلها تشير إلى هذا المعني.**

**يقول ربنا: {ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ}. يقسم ربنا  بربوبيته أنه لا إيمان لمن لم يحكم بما أنزل الله. والقسم بربوبية الله مضاف إلى المخاطب بهذا القرآن، وهو رسول الله  كما أن هذا يصلح ليكون خطابًا لكل من يصلح للخطاب.**

**واختيار الربوبية في هذا المقام كأنها إشارة مهمة إلى أن الله  حين أنزل شرعه، ليكون هو المهيمن والحاكم والمنظم لمسيرة الحياة، إنما يدل ذلك على ربوبيته -جل وعلا- بل هو جزء من ربوبية الله  فالمقام هنا هو مقام الربوبية.**

**والأمر الثاني بعد هذا التحكيم هو ما نقرؤه في قوله تعالى: {ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ} الحرج هو الضيق، فقد يتحاكم إنسان إلى دين الله وإلى شرع الله ويرى أنه مجبر على تنفيذ هذا الحكم، فيشعر بضيق ويشعر بحرج في نفسه. فعنوان الإيمان الصحيح أن يكون هذا التحكيم وما ترتب عليه موضع قبول ممن حكم عليه، أو ممن حكم له، فيشعر بحالة من الرضا والارتياح تشمل كيانه كله؛ لأنه يعلم أنه حين حكم له أو عليه إنما حكم له بحكم عادل من إله عادل، لا يظلم أحدًا من خلقه، فإن شعر بهذا الضيق من هذا الحكم -لأنه لا يمتلك إلا أن ينفذ- فهذا مطعن شديد وعظيم في الإيمان.**

**والأمر الثالث هو ما جاء في قوله تعالى: {ﯭ ﯮ} أي: عليهم أن يلقوا بأنفسهم إلى شريعة الله، وألا يكون منهم اعتراض على ما صدر من حكم من قبل رسول الله  أو من قبل من يحكم بشريعة الله؛ لأن هؤلاء لا يحكمون من أهوائهم ولا من عند أنفسهم، إنما ينفذون حكم الله . وكم في قوله: {ﯭ ﯮ} من بيان جلي إلى حقيقة موقف الإنسان -الذي يقول بأنني مؤمن- من شريعة الله، فعليهم أن يسلموا تسليمًا كاملا لله  فيما حكم به.**

**المراجع والمصادر**

1. **ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ، (تفسير القرآن العظيم) دار الراية للنشر والتوزيع، 1993م.**
2. **الشوكاني، محمد بن علي الشوكاني، (فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير) دار الكتاب العربي، 1999م.**
3. **الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد الشنقيطي، (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) بيروت، دار الفكر، 1995م.**
4. [**أبو السعود محمد بن العمادي الحنفي**](http://www.adabwafan.com/browse/entity.asp?id=13149)**، (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم) تحقيق: محمد صبحي حسن حلاق، دار الفكر، 2001م**
5. **الأندلسي، أبو حيان الأندلسي، (البحر المحيط) دار الكتب العلمية، 2001م.**
6. **أبو الطيب صديق بن حسن بن علي الحسين القنوجي البخاري، (فتح البيان في مقاصد القرآن) راجعه: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، إدارة احياء التراث الإسلامي، 1989م**
7. **أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، (الكشاف) دار الكتب العلمية، 2003م**
8. **الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، (جامع البيان في تأويل القرآن) تفسير الطبري، دار الكتب العلمية، 1997م**
9. **الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني الألوسي, (روح المعاني) دار الكتب العلمية، 2001م**
10. **الجزائري، أبو بكر جابر بن موسى الجزائري، (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) مكتبة العلوم والحكم، 1994م**
11. **السعدي، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، (تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) دار ابن الجوزي، 1994م**

**الغرناطي، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي الغرناطي، (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) لبنان، دار الكتب العلمية، 1993م.**